

التأثير الحضاري للمهاجرين الأندلسيين خلال التواجد العثماني بشمال إفريقيا (تونس – الجزائر – المغرب)

Title in English The civilizational impact of Andalusian immigrants during the
Ottoman era in North Africa
(Tunisia - Algeria - Morocco)

الهادي عبد العزيز

جامعة أحمد زبانة - غليزان - abdelaziz.elhadi@univ-relizan.dz

تاريخ النشر: 2025/12/10

تاريخ القبول: 2025/11/27

تاريخ الاستلام: 2025/10/17

ملخص:

عرف شمال إفريقيا هجرة واسعة من قبل سكان الأندلس بعد طردهم منها سنة 1609م مما ساهم في البعث الحضاري للمنطقة وذلك لما جلبه هؤلاء المطرودين من حرف وصناعات وخبرات في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وحتى السياسية فقد ساهموا في تشييد المدن وشق الطرق وزرع البساتين بطرق مبتكرة... على غرار شبه الجزيرة الإيبيرية التي عرفت تراجعاً كبيراً في جوانب عديدة من مجالات الحياة لاسيما الجانب الاقتصادي.

كلمات مفتاحية: الموريسكيون، المغرب الاسلامي، التأثير الحضاري، شبه الجزيرة الإيبيرية.

Abstract:

Enter After their in expulsion in 1609, North Africa knew a large migration by the inhabitants of Andalusia. These expelled people contributed to the civilization development of the region due to the different métiers, trades, industries and experiences they brought in the main social, economic, scientific and even political fields. They also participated with innovative ways to the construction of cities, roads and planting Orchards. Unlike the Iberian Peninsula, which witnessed a great degradation in many domains.

Keywords: Islamic Maghreb; Civilizational influence; Iberian Peninsula.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعتبر الكثير من الباحثين أن المسألة الموريسكية مسألة معقدة، تعكس في طياتها عن مدى الكراهية والاقصاء التي يكنها المسيحيون للمسلمين الأندلسيين التي وصلت إلى حد الصفية عرقية، وللأمة الإسلامية قاطبة. فبعد أن عمر الأندلسيون البلاد ما يقارب الثمانية قرون، شيدوا من خلالها صرحا حضاريا منقطع النظير ما تزال آثاره بادية للعيان إلى يومنا هذا، وجدوا أنفسهم دون أدنى شروط الحرية والحياة واضطهاد ووحشية بعد انتهاء حكمهم بغرناطة عام (1492)م، والذي بلغ مؤشر معاناتهم ذروته بعد صدور قرار الطرد النهائي في التاسع من أبريل (1609)م.

لم يبخل المهجرون الأندلسيون الوافدون إلى الشمال الإفريقي بما جادت أناملهم من إبداع ومهارات جعلت من أقطار بلاد المغرب بلدهم الأصلي لاندماجهم السريع في أوساط المجتمع المغربي، وفقد استعان الحكام بخرتهم الحربية والاقتصادية ... فما مدى اسهامهم في إنعاش المناطق التي أحلوا بها؟ وما هي أهم المجالات التي أبدعوا فيها؟

تهدف هذه الدراسة إلى الاجابة على هذه التساؤلات من خلال مناقشة المحاور

التالية:

- مرحلة الطرد الداخلي.
- مرحلة الطرد الخارجي.
- أسباب الطرد.
- الهجرات نحو بلدان شمال إفريقيا.
- انعكاسات عملية الطرد.

عمدنا في هذه الدراسة إلى المنهج التاريخي الذي يقوم على سرد الوقائع التاريخية وفق التسلسل الكرونولوجي للأحداث التاريخية، بالإضافة الى المنهج التحليلي الذي ساعدنا في تفسير وتحليل ومناقشة بعض الأفكار التي ارتأينا أنها تحتاج إلى مزيد من التدقيق والتمحيص.

2. مرحلة الطرد الداخلي:

1.2. المرحلة الأولى:

مر ترحيل وطرّد الموريسكيين بصفة داخلية بمرحلتين كانت الأولى عقب الثورة الغرناطية (1568-1580) م فقد تم حشدهم على إثرها في سفينة ضخمة غير مفرقين بين المشاركين في الثورة وبين ملم يشارك، وقد سمي "بأندلسي السلم" (بشتاوي، 1983، صفحة 194) وبهذه الطريقة، كان في اعتقاد الاسبان أنهم قد تخلصوا من الحركات الثورية.

2.2. المرحلة الثانية:

أما المرحلة الثانية، عانوا فيها الموريسكيون بالسير لمسافات طويلة متجهين نحو الشمال أو الغرب، مقسمين إلى مجموعات تبلغ حوالي 1500 فردا، يتبعهم 200 من الجنود، 20 فارسا لتأمين الطريق. وعلى كل مجموعة السير مسافة 20 كيلومترا في خط تتبعهم عربات محملة بأمّعتهم وممتلكاتهم (عبد الجليل، 1989، صفحة 59). وما يألّم في هذه المحنة وجود أعداد هائلة من الأطفال والرضع والنساء، إضافة إلى الجو الرديء، وقد تحجج الحكام بأن الأراضي أصبحت جدياء قاحلة وسيرجعون إلى مواطنهم الأصلية في حال تحسن الأوضاع. لعبت الكنيسة الكاثوليكية دورا فعّالا في الحالة الكارثية التي وصل إليها الموريسكيون وذلك بالضغط على السلطات الاسبانية بإصدار مجموعة من المراسيم تهدف إلى اجتثاثهم من أصولهم التاريخية ومحو أي أثر للوجود الإسلامي بالمنطقة. لم يرض الموريسكيون بهذا الوضع فقامت انتفاضات ساهمة رفقة عوامل أخرى في إقرار الطرد النهائي لهم من شبه الجزيرة الليبرية 1609م.

3.مرحلة الطرد الخارجي:

لظالما اعتقد الاسبان أن الموريسكيين يشكلون خطرا لأمن وسلامة البلاد، حيث أنهم يعملون كالجواسيس لصالح الدولة العثمانية، ولمنافسهم من الفرنسيين والبروتستانت أصحاب المذهب المخالف لمذهبهم الكاثوليكي، كما أنهم المتسببون في غارات القرصنة على السواحل الاسبانية. وهم لا يزالون محافظين على هويتهم العربية الاسلامية سرا (ماثيو، 2013، الصفحات 457-460) فلم تجدي معهم ألوان القسوة المفرطة والتنصير، فكان لابد من وسيلة أخيرة تضع حدا لهذا العرق الذي لا يروض والذي سبب تأثيراً خطيرا على الساحة السياسية والدينية وحتى الأمنية. أحس بعض الأندلسيون بالخطر الذي يدهمهم فبدأت هجرات اختيارية في سنة 1608م (عبد الله، 1989، صفحة 63)، قام بها الأثرياء منهم رغبة في حماية أموالهم من المصادرة فكانت وجهاتهم شمالية نحو فرنسا عبر جبال البرانس فاستقر البعض في فرنسا، وأما الباقون أبحروا نحو الشمال الإفريقي. عقدت جلست لمجلس الدولة الاسبانية لمباحثة مسألة الموريسكيين لآخر مرة في يناير 1609م بعد تيقنهم من خيانتهم ومروقهم، كما أنهم يعرضون البلاد لمختلف أخطار الغزو وعلى إثره صدر قرار في أبريل من نفس السنة صادق عليه الملك وفي 22 سبتمبر تم إعلان المرسوم النهائي فكانت الصدمة عارمة في أوساط الموريسكيين. فبدأ التحضير السفن لنقلهم إلى بلاد المغرب.

4.أسباب الطرد:

اتجه موقف الاسبان نحو الطرد النهائي للموريسكيين نظرا للأسباب التالية:
تمسك الموريسكيون الأندلسيون بهويتهم العربية الاسلامية ورفضهم المطلق اندماجهم ويأتي هذا من خلال إحدى مبررات الملك فليب الثالث بقوله "...لقد حاولت منذ سنين طويلة على تنصير موريسكي هذه المملكة (بلنسية) وموريسكي قشتالة،

واصداري لقرارات العفو المتتالية في شأنهم، ومساعدتي رجال الدين في تحويلهم إلى ديانتنا المقدسة، لكنهم أصروا على التمسك بدينهم..."

شعر الإسبان بالخطر لما شاهدوه الأعداد المتزايدة للموريسكيين، فقد بلغ نسبة نموهم بـ 70% من نسبة النمو الإجمالي من 1572م إلى غاية الطرد النهائي 1609م.

رغم ما لاقوه من غبن واضطهاد وأخطار، فقد اعتبر الموريسكيون قرار الطرد فرج من الله لأنهم تخلصوا من مضايقات محاكم التفتيش وأنهم خرجوا من الجحيم، يقول الشهاب الحجري: "...وبعد ذلك باثني عشرة سنة، فرج الله على مسلمي الأندلس، الذين كانوا فيها تحت قهر سلطان البلاد (إسبانيا) المسمى فيليب الثالث..

5.الهجرات نحو بلدان شمال إفريقيا:

علاقة الأندلس بشمال إفريقيا قديمة، بحكم الموقع الجغرافي والامتداد الديني والعربي. وقد زادت هذه الأواصر توثقا منذ محاولة الخلافة الأموية استمالة العشائر الزبانية بالمغرب الأوسط، للوقوف في وجه المخططات الفاطمية، ثم أصبحت العلاقة أكثر تلاؤما بعد أن تمكن المرابطون والموحدون من ضم الأندلس إلى أقطار بلاد المغرب (أحمد بن قاسم، 1641، صفحة 182).

وما زاد هذه الصلة عمقا وترابطا، هو استقرار الكثير من الأندلسيين على طول سواحل بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الميلادي. وقد بلغ وفود الموريسكيين الأندلسيين إلى شمال إفريقيا ذروته إثر التهجير القسري بعد القرار الملوك فيليب الثالث.

ويمكن تقسيم الهجرات الأندلسية نحو الشمال الإفريقي على النحو التالي:

- مرحلة التي سبقت سقوط غرناطة سنة 1492م: كانت الهجرة خلالها فردية وجماعية، شملت الأعيان، التجار، العلماء وحتى الحرفيين وأصحاب المهن.

- مرحلة ما بعد سقوط غرناطة زاد وتيرة النزوح الجماعي نظرا للمعاناة التي عرفها الموريسكيون والقمع الذي سلط عليهم وقد اقتصر هذا على الحواضر الساحلية. ثم مرحلة التهجير القسري والذي طال كل فئات الموريسكيين بعد قرار الملك فليب الثالث بالطرد وتصفية شبه الجزيرة الليبرية من الوجود الإسلامي. وسيتمحور كلامنا على المرحلة الممتدة بين 1492م إلى غاية 1614م.

1.5 الهجرات إلى الجزائر:

عرفت الجزائر توافد أعداد هامة من الموريسكيين في مراحلها الأولى في الفترة الممتدة بين سنة 1212م وسنة 1492م إثر سقوط الحواضر الأندلسية المتتالية، كقرطبة سنة 1236م، بلنسية 1283م، إشبيلية 1284م، لم تكن مدينة الجزائر محظوظة من هذه الهجرات كمدينة بجاية الحفصية وتلمسان الزيانية اللتان كانتا تضمّان معظم رجال العلم والثقافة، وهذا لكونهما من أهم حواضر الجزائر (ابن مريم، 1908، صفحة 32).

إن ترحيل الأعداد الهائلة من الموريسكيين أحدث حالة من الارتباك فإن وهران لم تستطع استيعاب هذه الدفعات المتتالية من الهجرات فالهجرة الواحدة بلغ عدد أفرادها حوالي 53 ألفا ناهيك عن الذين استأجروا سفنا للإبحار بها إلى وهران والمدن الساحلية المجاورة وبالتحديد المرسى الكبير، أرزيو، مستغانم، تنس حيث استقبلت القوات الأسبانية الموجودة في وهران والمرسى الكبير المرحلين. حتى المدن الداخلية قد عرفت توافد أعدادا كبيرة من المرحلين ومن هذه الحواضر تلمسان التي توافد ألّاها حوالي خمس آلاف وكذا بلدية وقلعة وغيرهم. كما لا نستثني من ذلك المدن الداخلية كتلمسان التي استقبلت أكثر من خمسة آلاف وافد، وكذا بلبدة وقلعة وغيرهما.

كان الجهاد البحري في السواحل الافريقية خاصة المجاهدين الجزائريين ضد السفن الحربية الأوروبية بدأ يقلقهم مسببين المتاعب لهم، ناقلين معهم كثيرا من الأسرى والغنائم، كما عملوا على إنقاذ مسلمي الأندلس تأمين وصولهم إلى السواحل الجزائرية وكان أبرزهم الأخوين بربوسا

أصبحت الجزائر من أهم المحطات للتي لجئ إليها الوفود الموريسكية الأندلسية لعدة اعتبارات، منها جغرافية كونها قريبة من السواحل الاسبانية، كما كان أملهم كبير في العثمانيين لما لديهم من قوة إضافة إلى كونهم مسلمون، وأسطولهم البحري كان ذا ديناميكية فعالة وخبرة قادتها وبحارتها في مجال الملاحة والمناورة. فتحالفا معهم وربطوا مصيرهم بهم تمثلت مساعداتهم من خلال التصدي للحملات الاسبانية، والمساهمة في القضاء على التمردات والانتفاضات الداخلية. ولقد ساهم العثمانيون مساهمة كبيرة في إنقاذ ما أمكن إنقاذه من الموريسكيين الفارين من البطش والتعذيب (جون، 1986، صفحة 39).

لم يبخل البحارة الجزائريون من أتراك وأهالي لمساعدة الموريسكيين الأندلسيين ويذكر أحد الباحثين الأتراك (شلي) أن خير الدين باشا شن خلال سبع سنوات ثلاثة وثلاثين غارة أنقذ من خلالها 70 ألف موريسكي وتم نقلهم إلى الجزائر (سعيدوني، 2003، صفحة 21).

رغم ما عاناه مسلمو الأندلس جراء التهجير القسري نجد أن معاناتهم زادت نتيجة السرقة والنهب التي تعرضوا له من طرف الأعراب إثر انتقالهم من وهران إلى مناطق أخرى فإن بعض القبائل قامت بأعمال وحشية ضد المهجرين والتنكيل بهم (ابن سحنون، 1973، الصفحات 27-28). أثارت هذه الأعمال والتصرفات الهمجية على رجال وشيوخ القبائل الذين دعوا الحكام إلى حماية الأندلسيين ومعاقبة هؤلاء الأعراب.

وجراء هذه الانتهاكات والتصرفات لا إنسانية وكذا طبيعة المنطقة التي تعتبر بالنسبة للعثمانيين دار جهاد تناقصت أعداد الوافدين في الفترات الأخيرة مقارنة بجارتها تونس والمغرب الأقصى.

2.5 الهجرات إلى المغرب الأقصى:

يعتبر المغرب الأقصى من أهم الأماكن التي توافد إليها المهجرون الموريسكيون، بحكم موقعه الجغرافي القريب من اسبانيا وقد تجاوز عدد الموريسكيين المهجرين إلى المغرب الأقصى الثلاث ملايين خلال فترة الطرد، أما آخر هجرة فكانت تقدر بنصف المليون مهجر فمهم من بقي ومنهم من اتجه نحو المشرق الإسلامي، وكان من بين هؤلاء يهود تفرقوا في جميع اتجاهات الامبراطورية العثمانية. (بسام، 1981، صفحة 48)

تم تهجير الموريسكيون عن طريق المراكز المحتلة من طرف الاسبان والمتواجدة في: طنجة، سبتة، مليلة... ومن هذه النقاط يتجهون نحو الداخل وكانوا في أغليتهم من سكان منطقة بلينسية، قشتالة، غرناطة، مرسية وبعض العناصر من أراجون، وكتلونيا. لم تكن الرحلات جميعها من اسبانيا بل من وهران كذلك إلى المغرب بعد أن ضاق بهم المكان.

عرفت الحواضر كتطوان والقصر الكبير والعرائش وفود أعداد كبيرة من المهجرين الموريسكيين لقرهم من اسبانيا حيث أن مدينة تطوان لوحدها استوعبت حوالي 10 آلاف مهجر سنة 1613م واتجهت جماعات نحو مصب نهر أبي الرقراق وأسسوا جمهورية باسمه (جمهورية أبي الرقراق).

تناقص أعداد الجماعات الوافدة إلى المغرب الأقصى فمهم من يرجع ذلك إلى التقتيل الجماعي والسلب والنهب الذي طال العديد منهم، وهناك من يرجعها إلى الجوع والتعب جراء التهجير القصري وطول الطريق ووعورتها وأن البلد كانت تعاني من ظروف

قاسية جراء الأوبئة كالطاعون الذي ضرب مدينة فاس وقد أشار المقري إلى ذلك: "... كان من قدر الله تعالى أنهم لما وصلوا مدينة فاس أصاب الناس بها شدة عظيمة من الجوع والغلاء والطاعون، حتى فر الكثير منهم بسبب ذلك ..." (أحمد، 1979، صفحة 68) وأن السبب الأول مبالغ فيه، فبعض المصادر تشير على أن السلطان المولى زيدان قد أحسن إليهم (محمد، 1989، صفحة 78). وقد عرف هذا الأخير كيف يستغل قدرات وإمكانات الموريسكيين وبراعتهم خاصة في الميدان الحربي لمواجهة خصومه، وخصهم بالامتيازات وقرهم إليه، كما ساهموا في بناء العديد من المدن كسلا والرباط وأقاموا بها نشاطا بحريا واسعا.

3.5 الهجرات إلى تونس:

لم تستثنى تونس من الهجرات الموريسكية الأندلسية، فقد توافد إليها أعداد كبيرة من المهجرين برا وبحرا قبل قرار الطرد النهائي وبعده فقد وفد من فرنسا مجموعات جراء منع الحكام الاسبان من قصدهم البلدان الاسلامية وقد أقر ذلك المقري في كتابه "نفح الطيب" قائلا: "...فخرجت ألوف بفاس وألوف بتلمسان من وهران، وجمهورهم خرج بتونس... (المقري، 1967، صفحة 528) كانت فرنسا السبيل الوحيد والأكثر نجاعة والأكثر أمانا للوصول إلى السواحل التونسية فقد لوحظ في سنة 1610م بأحد موانئ فرنسا حوالي 30 ألف موريسكي متوجهين إلى تونس، ولم يكن انتقالهم سهلا بل عانوا الكثير فقد تعرضوا للنهب من طرف البحارة الفرنسيين. ولقد حظيت تونس على نسبة كبيرة من الموريسكيين الأراجونيين وهي فئة أكثر تعلما مقارنة بالفئات الأخرى كالبلسيين والقشتاليين وغيرهم، فكانت لهم إسهامات بليغة في المجال الفكري والاجتماعي والاقتصادي.

تشير بعض المصادر إلى أنه تم استقبال الموريسكيين من طرف الأهالي أو الطرف الرسمي المتمثل في عثمان داي (1593-1610)م وأحسن إليهم وسمح لهم بالبناء فبنو عدة

مدن وقرى كسليمان وبلي ونيانو وقرنبالية وتركية والجديدة وزغوان وطبرية وقريش الواد وغيرها وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين، ومهدوا الطرق واندمجوا مع السكان المحليين (محمد ب.، 1967، صفحة 23).

6. انعكاسات عملية التهجير:

1.6 على مستوى شبه الجزيرة الإيبيرية:

لقد انعكس تهجير الموريسكيين من شبه الجزيرة الإيبيرية بالسلب في جميع الميادين، خاصة الاقتصادية منها حيث تناقصت اليد العاملة الفنية الناشطة في ميدان الفلاحة فتناقص مردود انتاج الحبوب، وتدهورت صناعة الحديد نتيجة رحيل أزيد من 5000 حداد موريسكي، كما حدث ركود في الميدان التجاري، فقد عاشت اسبانيا كارثة اقتصادية خلال القرنين 16 و17 الميلاديين واستمرت تدعياتها حتى القرن 18 م.

ونستطيع أن نلخص الانعكاسات الاقتصادية فيما يلي:

- كساد التجارة وأقول عدة موانئ تجارية.
- ركود الصناعة والنشاطات المهنية والحرف.
- تناقص موارد عائدات الخزينة الملكية.
- فشل الإصلاحات الاسبانية لتدارك النقص الذي سببه الغياب الأندلسي.
- تناقص إرادات الكنيسة وامتيازاتها وبالتالي تناقص تأثيرها السياسي.

أما على الصعيد الاجتماعي فقد تضررت المدن والقرى حيث أصبحت خالية أو شبه خالية نظرا للأعداد الكبيرة من الجماعات الموريسكية التي كانت تقطنها، رغم عمل الحكام على إعمارها بفضل الجهاد البحري للبحارة المغاربة وبمساعدة الأندلسيين المهجرين، تكبدت التجارة البحرية الاسبانية خسائر بالغة كما أدت إلى تعطيل الطرق التجارية وتقلص إرادات إسبانيا من التجارة البحرية.

2.6 على مستوى شمال إفريقيا:

أحدث وفود الأعداد الهائلة من الموريسكيين إلى الشمال الإفريقي تغيرات ملحوظة في شتى الميادين فنجد تطورا صناعيا لم تشهده المنطقة منذ عقود، كما انتعشت التجارة وعرف إنتاج الحبوب فائضا مما اضطر إلى تصديره نحو الدول الأوروبية. كان للموريسكيين مهارة في تشييد المدن، وقد أصبحت مدينة الجزائر من كبرى الحواضر بعد ما عرفت توافدهم إليها، وكذلك الحال بالنسبة لتونس والمغرب. فقد عرف الحكام كيف يستغلون هذه الطاقات في إنعاش اقتصادهم، وقد وصل تأثيرهم إلى حياة السكان المحليين من ناحية اللباس والفنون وغيرها من المظاهر الاجتماعية.

1.2.6 الجزائر:

ذكر أحد الباحثين أنّ حوالي الستة آلاف موريسكي أندلسي نزح من اسبانيا نحو الجزائر، معظمهم يمتنون صناعة الجلود وصنع الأسلحة، ممّا يؤكّد شهادته على نشاطهم الجهادي والعسكري ومساهماتهم الفعّالة في تدعيم إيالة الجزائر (Diego، 1989، صفحة 495). انتشر وتعدد أماكن التي استقرار بها الموريسكيين الأندلسيين عبر مختلف أرجاء الجزائر فمنها الجزائر العاصمة وضواحيها والبليدة والقليلة وشرشال أما منطقة متيجة والمناطق الساحلية القريبة منها، أما من الناحية الشرقية فنجد بجاية جيجل والقل وقسنطينة وعنابة والقالا أما المناطق الغربية فنجد وهران ومستغانم وتلمسان وقلعة بني راشد وندرومة ومارونة وأرزو إلى غاية تنس (محمد الأمين، 2007، صفحة 65).

• المجال الاقتصادي:

الصناعة: أدخل الموريكيون عدة صناعات لم تكن موجودة من قبل في المنطقة، كما عملوا على استحداث تقنيات جديدة على حرف موجودة سابقا، كما نجدهم قد برعوا في مهن جديدة، لم يحتكر الحرفيون الوافدون إلى الجزائر حرفهم، بل عملوا على تعليمها للسكان المحليين الذين أقبلوا عليها بشغف، خاصة سكان العاصمة وما جاورها وكذا

المناطق التي استقروا بها. ومن أبرز ما أتقنه المورسكيون صناعة السفن التي عززت أسطول الجزائر البحري المتواجد في موانئ عديدة (سعيدوني، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، 1958، الصفحات 82-83) أهمها شرشال ولم يكتفوا بذلك بل أعادوا بناء مختلف أحيائها المدينة وزرعوا أراضيها وامتحنوا صناعة السفن المحلية (حسن، 1983، صفحة 34)

الزراعة: تعددت المجالات التي أتقنها هؤلاء المطرودين، فقد عملوا بمعية السكان المحليين على استصلاح الأراضي وامتحنوا أنواع متعددة من المهن التي أحدثت وفرة في المنتوجات اليدوية، مما أدى إلى انتعاش الاقتصاد وتحريك عجلة التنمية المحلية، خاصة تجارة الحلي والالوانى والسجاد. (أبو القاسم، 2003، صفحة 485).

التجارة: يشير العديد من الباحثين إلى مدى مساهمة الموريسكيين في إنعاش الموانئ المغربية والجزائرية بالخصوص تشجيعا للجهاد البحري الذي اضحى مشكلة تؤرق الأوربيون مما جعلهم يفكرون في ايجاد بدائل جديدة برية وقد تعين على الحكام العثمانيون ادراجهم في جيشهم لما وجدوه اضافة معتبرة للجيش العثماني المتواجد في المنطقة.

جدول 1 يوضح نسبة المورسكيين مقارنة بالتواجد التركي (Braudel، 1966، صفحة 109):

السنة	الأتراك	المورسكيون
1536	2000	من 7000 إلى 8000
1556	7000	6000

• الجانب الفني والثقافي:

عرف المجال الفني في الجزائر نقلة نوعية بدخول طبوع موسيقية جديدة مع الوفود الأندلسي. فقد تميزت مدينة تلمسان بالطابع الحوزي أما مدينة قسنطينة فقد عرفت بالملوف وقد حظيت الموسيqa الأندلسية بإقبال كبير لدى عامة الناس وبالأخص سكان المدن (Moustapha، 2024، الصفحات 206-218).

2.2.6 تونس:

نتيجة لأطماع الأسبان في السيطرة على السواحل البلاد المغاربية، تشكلت علاقة عدائية مع تونس، عمل الجهاد البحري واستقبال مسلمي الأندلس دورا كبيرا في تغذيتها وتأجيجها، لاسيما توافد الآلاف من الأندلسيين الهاربين من وحشية وبطش الجنود والبحارة الإسبان. وبسبب نشاط الجهاد البحري لبحارة بلاد المغاربة وجهود البحارة الأندلسيين فقد تأثرت التجارة البحرية الإسبانية.

حظي الأندلسيون المهجرون من مناطق عديدة مثل كاتالونيا، طراقونا، أراقون، قشتالة وغيرها بعناية خاصة من طرف الدايات العثمانيون فقد تحصلوا على الأراضي والأسلحة ومنحوا شبه الاستقلال الذاتي بالمناطق التي منحت لهم، فقد قاموا بتجديد وبناء العديد من القرى والمدن فنجد منها طبرية، بنزرت، ماطر، وغيرها. كانوا أصحاب حرف وصناعات وكثير من الأمور الأخرى (محمد العربي، 1957، صفحة 109)

ومن أهم ما أنجزوه في مناطق تواجدهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **البناء والتجديد:** حظيت مدينة بنزرت من خبرات الأندلسيين في العمارة والبناء، مما جعل من البنية التحتية للمدينة أكثر حداثة وتطورا، أما قرية ماطر التي حولوها إلى مركز زراعي هام بفضل إدخال تقنيات الري والزراعة التي جلبها الأندلسيون إلى المنطقة (الحمروني، 1998، الصفحات 86-88).

- **مجال الحرف والصناعة:** عرف الأندلسيون بالحرف والصناعات التقليدية المتنوعة وذادة جودة عالية، ساهم ذلك في تنمية القطاع الاقتصادي ومن أهم الصناعات التي جلبت صناعة الحرير ودباغة الجلود حتى أصبحت المنتجات التونسية مطلوبة في الأسواق المحلية والخارجية (درويش، 2020، الصفحات 677-699).

- **التأثير الثقافي والفني:** لا زلنا نسمع اليوم فن الملوف في تونس والحوزي في الجزائر حيث يعد من أرقى أنواع الموسيقى التقليدية، بيد أن الأندلسيون هم من أدخلوه إلى المنطقة إضافة إلى العديد من العادات والتقاليد أدت إلى تغير النمط الاجتماعي الذي كان سائدا قبل مجيئهم فأنج نمطا ثقافيا محليا جديدا. أدخل الأندلسيون المهاجرون أنواع جديدة من الألبسة خاصة في حفلات الزفاف والحفلات الموسيقية ومن الآلات الموسيقية جديدة حتى أصبحت جزءا من التراث الثقافي المحلي.

3.2.6 المغرب الأقصى:

يعتبر المغرب الأقصى من أقرب الأماكن وأهمها التي لجئ إليها المهاجرون الأندلسيون، حيث يعد الموقعها الجغرافي الهام سهل على المتوافدين إليها الانتشار في شمال إفريقيا. وقد فاق عددهم الثلاث ملايين خلال فترة الطرد، أما فترة الطرد الأخيرة فقد بلغ عددهم ما يقارب النصف مليون مهاجر، فمنهم من بقي ومنهم من فضل الاتجاه نحو المشرق العربي ومن ثم الانتشار في جميع أقطار الإمبراطورية العثمانية (مرثيديس، 1085، الصفحات 151-152).

عرفت المغرب الأقصى توافد أعداد كبيرة من الأندلسيون المطرودون من شبه الجزيرة الأيبيرية وقد ساهموا في مجالات مختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبالأخص العلوم العلمية منها.

- **المجال السياسي:** استغل السلاطين المغرب الأقصى الخبرة الإدارية لمهاجري الأندلس لتعزيز أركان الدولة فقد منحوا مناصب إدارية رفيعة وحازوا على ثقتهم كما ساهموا عسكريا في اخماد الفتن الداخلية وتمرد القبائل على الحكم، كما أدخلوا تقنيات جديدة وتكتيكات حربية متطورة كانت معروفة في الأندلس، أما في المجال الدبلوماسي فقد استغلت خبرتهم وعلاقاتهم الجيدة مع الدول الأوروبية للتفاوض في المسائل العالقة وتجنب الصدامات (مرثيديس، 1085، صفحة 161).

- **المجال الاقتصادي: الزراعة والري:** أدخل الأندلسيون بعض التقنيات الري حديثة، فقد تم وضع عدة نواعير بمراكش وفاس ومد القنوات كما قاموا بتطوير تربية الأغنام وذلك بإدارة مزارع منحت لهم من طرف الدولة المغربية، كما عرفوا بزراعة الأشجار وبالأخص أشجار الزيتون (Antonio & Bernard, 1987, pp. 255-234).
- **الصناعة:** جلب الأندلسيون معهم أنواع عديدة من الفنون ومنها دباغة الجلود وصناعة الحرير والصوف، كما برعوا في التجارة فقد سيطروا على تجارة الملابس خاصة الأقمشة الصوفية، كما أدخلوا معهم ملابس جديدة لم يعتد عليها المغاربة كالشاشية وصندوق العروس... (Antonio & Bernard, 1987, pp. 285-275).
- **المجال الثقافي والعلمي:** كانت مساهمة الأندلسيين في المجال العلمي واضحة وقد مست الفنون التالية:
التعليم: نقل الأندلسيون معهم عدد من العلوم والمعارف كالفسفة، الفلك، الرياضيات، الطب، وغيرها فشيّدوا لذلك مدارس وطوروا المناهج التعليمية حتى أصبحت بعض الحواضر مراكز علمية ذائعة الصيت كفاس (خريس فاطمة، 2024، الصفحات 215-237).
- **الشعر والأدب والموسيقى:** أدخل الأندلسيون الشعر الغنائي الأندلسي في الغزل والشعر الصوفي، كما تأثر المحليون بالأدب الأندلسي الفريد في أسلوبه. 'ما المجال الموسيقي فقد أصبحت الموسيقى الأندلسية جزءاً لا يتجزأ من التراث المغربي (مزهود، 2021، الصفحات 250-259).
- **الفن المعماري:** تتجلى مظاهر الهندسة المعمارية الأندلسية في النقوش التي نلاحظها من خلال الأقواس وزخار الأسقف والنقوش الهندسية المبهرة وبالتالي فقد عملوا على تشييد المساجد والقصور والمدارس ومثال ذلك جامع القيروان وقصر بديع بمراكش.

7. خاتمة:

ومن خلال هذه الدراسة نكون قد عرجنا على بعض المسائل المتعلقة بجانب من جوانب التاريخ الموريسكي في أوائل الوجود العثماني بالمنطقة المغاربية ونستطيع استنتاج ما يلي:

- ولد الترحيل القصري للموريسكيين شحنة طاقوية كبيرة عملة على تطوير المنطقة وذلك لأملهم في تجميع الصفوف والالتحام مع العثمانيين والسكان المحليين للتمكن من العودة إلى الأوطان.

- لم تشكل الهجرات الموريسكية تهديدا للشمال الإفريقي بل كان لها آثار إيجابية على المنطقة ككل في شتى مجالات الحياة أحدث نوعا من الانتعاش الاقتصادي والاجتماعي وذلك بمساهماتهم في تشييد المدن وتطوير الموانئ وكذا الجانب المعماري.

- أدخل الموريسكيون العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية التي أثرت بشكل كبير على الثقافة المحلية. تقاليد الزواج والاحتفالات التي جلبها الموريسكيون أصبحت جزءا من التراث الثقافي في العديد من المناطق المغاربية. ساهم الموريسكيون في إدخال أنماط جديدة من اللباس والعادات، خاصة في الحفلات والموسيقى. الملابس التقليدية مثل الشاشية وصندوق العروس أصبحت شائعة بفضل تأثير الموريسكيين. الموسيقى الأندلسية مثل الملووف والحوزي لاقت رواجا كبيرا وأصبحت جزءا من التراث

قائمة المراجع

1. de Haedo Diego. (1989). *Topographie et histoire général Alger*. (Monnereau, Berbrugger A و المترجمون) France: EDITION BOUCHENE.
2. Dominguez Ortiz Antonio و Vincent Bernard. (1987). *Historia de los Moriscos. Vida y tragedia de una minoría*. Espagne: Revista de Occidente.
3. Fernand Braudel. (1966). *époque de philippe II à La méditerranée et le monde méditerranéen*. Parris: librairie Armand.
4. Marouan Moustapha. (15 أكتوبر، 2024). *The Influence of Andalusian Architecture on the Historiceal Landmarks in Tlemcen : A Descriptive Archaeological Study of the Ancient Almoravid Bath in the City of Nedroma*. مجلة دراسات وأبحاث، الصفحات 218-206.

عنوان المقال: التأثير الحضاري للمهاجرين الأندلسيين خلال التواجد العثماني بشمال إفريقيا (تونس – الجزائر – المغرب)

5. احمد الحمروني. (1998). *المورسكيون الأندلسيون في تونس*. تونس: ميدياكوم.
6. أحمد بن محمد المقرئ. (1967). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* (المجلد المجلد). بيروت: دار الصادر.
7. البشتاوي عادل سعيد. (1983). *الأندلسيون المواركة*. القاهرة: انترنشيونل برس.
8. التلمساني ابن مريم. (1986). *البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان*. الجزائر: المطبعة الثعالبية.
9. التميمي عبد الجليل. (1989). *الدولة العثمانية وقضية الموركيين الأندلسيين*. زغوان: مؤسسة التميمي.
10. التميمي عبد الجليل. (1989). *الدولة العثمانية وقضية الموركيين الأندلسيين*. زغوان: مطبعة بايبريس.
11. الحجري أحمد بن قاسم. (1641). *ناصر الدين على القوم الكافرين*. (كوننكزفلد شورف فان، السامرائي قاسم، وفيخرز خبارد، المترجمون) تونس: المجلس الأعلى للبحث العلمي الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي.
12. الراشدي ابن سحنون. (1973). *الشجر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*. (بوعبدلي المهدي، المحرر) قسنطينة: منشورات التعليم الأصلي.
13. الزبيري محمد العربي. (1957). *مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث*. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.
14. الشافعي درويش. (30 ماي، 2020). *الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري*. القيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الصفحات 677-699.
15. الشريف التلمساني ابن مريم. (1908). *البستان في ذكر الأولياء وعلماء تلمسان*. الجزائر: المطبعة الثعالبية.
16. العسلي بسام. (1981). *خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547*. بيروت: دار النفائس.
17. المقرئ أحمد. (1979). *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*. (عباس تح إحسان، المحرر) بيروت: دار الصادر.
18. الوزان حسن. (1983). *وصف إفريقيا*. (حجي محمد، والأخضري محمد، المترجمون) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
19. ب. وولف جون. (1986). *الجزائر وأوروبا*. (أبو القاسم سعد الله، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
20. بلغيث محمد الأمين. (2007). *فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي*. الجزائر: منشورات أنتريسييني.
21. بن أبي دينار محمد. (1967). *المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس*. (همام محمد، المحرر) تونس: المكتبة العتيقة.
22. بن قاسم الحجري أحمد. (1987). *ناصر الدين على القوم الكافرين*. دار البيضاء: دار الكتاب العلمية.
23. بن مقرئ التلمساني أحمد. (1997). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
24. حمادي عبد الله. (1989). *المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1616-1492*. الجزائر: الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب.
25. حنيفي هلايلي. (2010). *أبحاث ودراسات في تاريخ الندلس الموريسكي*. عين مليلة: دار الهدى.
26. خريس فاطمة. (سبتمبر، 2024). *تأثير الهجرة الأندلسية على المغرب الأقصى* (فاس نموذجاً). *مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 21 (3)، الصفحات 215-237.
27. رزوق محمد. (1989). *الأندلسيون وهجراتهم*. الدار البيضاء: دار النشر إفريقيا الشرق.
28. سعد الله أبو القاسم. (2003). *بحوث في تاريخ المغرب العربي الإسلامي*. بيروت: دار المغرب الإسلامي.

29. سليم مزهود. (26 ديسمبر، 2021). جمالية الموسيقى العربية الأندلسية. دراسات فنية، الصفحات 250-259.
30. عادل سعيد بشتاوي. (1983). الأندلسيون /الموارد. القاهرة: أنتر ناشيونل برس.
31. عنان محمد بن عبد الله. (1961). الممارسات الدينية للمورسكيين من خلال ملفات محاكم التفتيش. القاهرة: دار المعرفة.
32. غارثيا أرينال مرثيديس. (1085). شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون). (فكري عبد السميع محمود، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
33. كار ماثيو. (2013). الدين والدم /إبادة شعب الأندلس. (قاسم مصطفى، المترجمون) أبوضبي: هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة.
34. ميلود طواهري. (مارس، 2012). إشكالية الموريسكيين وهجرتهم في الذكرى المؤوية الرابعة. مجلة الحوار المتوسطي، صفحة 84.
35. ناصر الدين سعيدوني. (1958). مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر. تونس: المطبعة العصرية.
36. ناصر الدين سعيدوني. (2003). دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

عنوان المقال: التأثير الحضاري للمهاجرين الأندلسيين خلال التواجد العثماني بشمال إفريقيا
(تونس – الجزائر – المغرب)



خريطة توضيحية لأهم الاتجاهات التي سلكها الأندلسيون خلال هجرتهم إلى بلدان الغرب الإسلامي